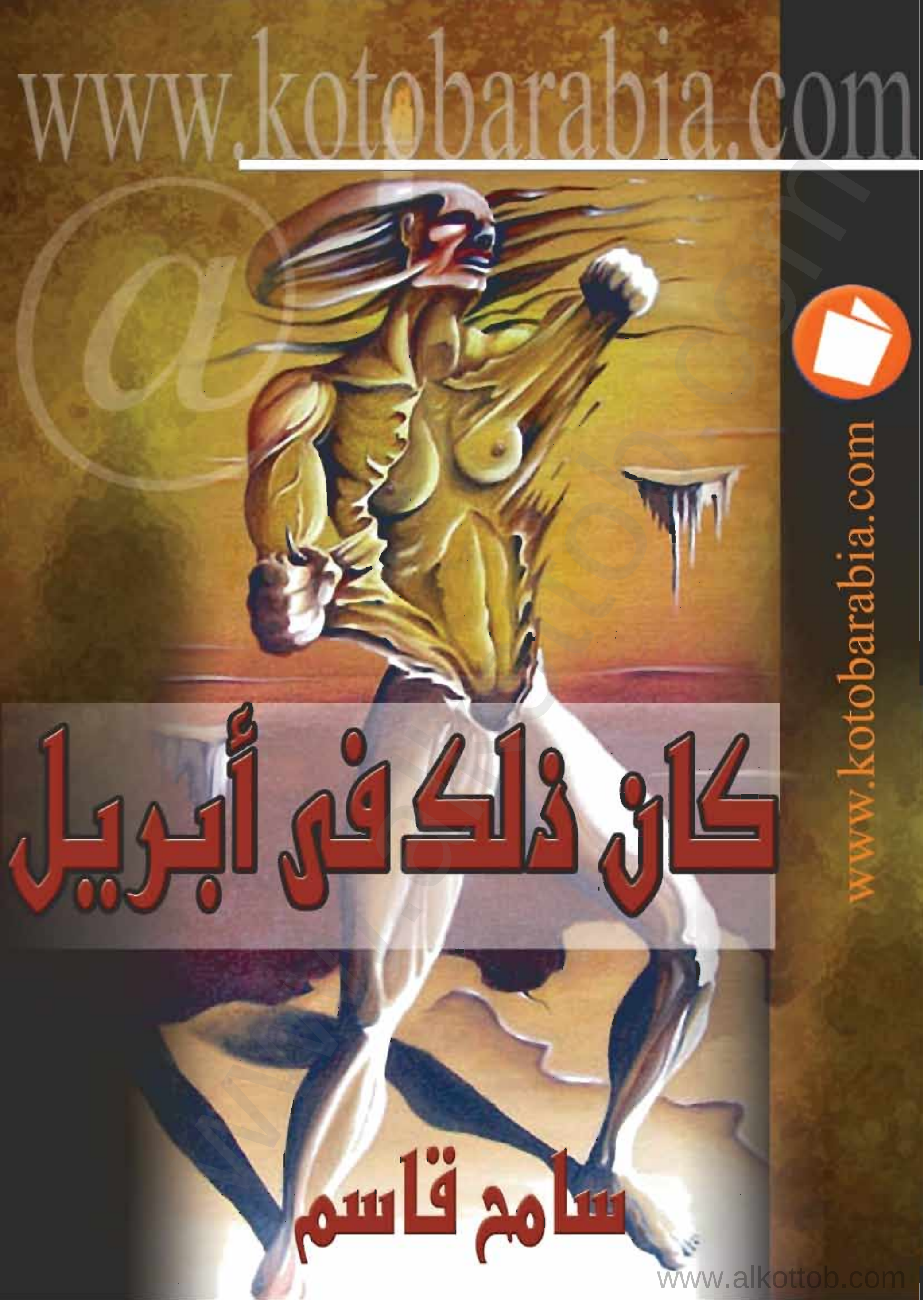

كان ذلك فى أبريل
سامح قاسم

سامح قاسم

كان ذلك فى أبريل

إهداء

إلى لون الفل و رائحته ..

أبي وأمي

إلى الذين عرفا طعم الوجع معى

محمد و سارة قاسم

إليها – تلك التى أنارت لى الطريق – حتى ترضى

إلى حبيبة – ابنتى – التى لها طعم السكر

سامح قاسم

أبى

- ١ -

كلما شعر جيبه بالدفء
جاءه
من أعاد اليه برودته
مرة أخرى
فلما سألته عن سر فعله
أشار إلى الشمعة
التى تضىء لنا الحجرة
و تتضاءل !

- ٢ -

كثيرة هي أحزانه

أكثر من سنواته التى قضاها

قابعا خلف قضبانه

أكثر من شجاراته القديمة معها

- تلك التي ابيضت عيناها حزنا عليه –

أكثر من دمعات أطفاله لفقده

هذا الذى كلما طلعت شمس

غيبته ألف شمس

خلف أسوار

يعتليها هؤلاء المدججون بالسلاح

- ٣ -

عندما كانت شمسه

مشرقة

دائما ما كانوا يطرقون

الباب

ولما أفلت

التهم الصدأ مقبض

الباب

- ٤ -

اعتادت أصابعه على التوقيع

بأسماء عدة

لا لشيء

سوى أنه تمنّى أن يكون ألف

شخص

الا أنه ظل شخصا واحدا

منبوذا من العامة

- ٥ -

هذا الذي أحببته كثيرا

و اختلفت معه اكثر

تمنيت أن أراه

جالسا فى وسط الدار

مرة أخرى

قبل أن يسمع من مكمنه

أنى رحلت من مرارة فقده

بل حسرة عليه

في مكمنى هنا

سأنتظر عمال النظافة

حتى يأتوا ليلقوا بكم

بعيدا

بعيدا

بعيدا

جذور تطمع في النمو

دائما
ما يحكون لى
عن شهداء كثيرين
ودائما
ما يطلبون منى الاقتداء
بهم
ولكن بطريقة عكسية
يحكون عن عمر
وعن سليمان خاطر
وعن
وعن . . .
ودائما ما أدير لهم
ظهري

حفلة تنكرية

في ليلة مباركة

جلس – ثلاثة نفر – أجلاء

وعندما قال كبيرهم

إن اليوم هو المتمم لهذا

الشهر

خرجت فرحا

تصك قدماى أكفهم الممدودة

في ذلة مصطنعة

دون حياء

مؤامرة سرية

هناك
في الحارة الصغيرة البائسة
يجلسون كل مساء
و تفوح من أفواههم
رائحة شواء
وتتلون أصابعهم
بلون أكرهه
كثيرا

دعوة

تناثرت أشلائي على جانبي

الطريق

قالوا :

لملم بقاياك

نحها جانبا

قلت :

بل أتركها

يخطون عليها

بدلا من ان يدنسوا أرض

بلادي

هنا

- ١ -

حاولت كثيرا أن
أتأرنب
ولما حدث
حاولت ان أتشكل على شاكلة
الحوت
ولما حدث
دهستنى أقدام
الفيلة

- ٢ -

وقفت أنشد دفء المشاعر

فى الطرقات

ولكنى

بعد انتظار طويل

أقسمت بأن العالم

برد

قارس

أحوال

في السنة الأولى

كلما اكتمل القمر

أقول :

أبدا

لن يكون مثلها

في السنة الثانية

كلما نشدت دفء الشمس

وفعلت

أقول:

أبدا

لن تكون مثلها

في السنة الثالثة

كلما خدعنى صديق

أقول :

أبدا

لن يكون مثلها

الحمار الطيب

في بعض الأحيان

يمنحني اسمه

دون مقابل

- ١ -

البنت

التي قابلتها ذات مساء

- كثيرا ما أنفقت كل ما فى جيوبى

وأنا معها

وكثيرا ما تشاجرت مع آخرين

وكثيرا ما حاولت تربية شاربى

لأبدو أكثر صرامة

مع تغليظ صوتى نوعا ما –

أخبرتني.

أنها لم تجد فى الفترة الماضية

رجلا بشكل ما

نفخت صدرى سائلا :

والآن ؟

نكست رأسها

ولم تعقب

- ٢ -

البنت

التي تعرفت بها

بالصدفة – فى ميدان التحرير-

والتى عندما سألتها

عن اسمها

ابتسمت و قالت :

حذر

قلت :لا أجيد هذا المزاح

اقتضب جبينها

وكلما طلبت منها أن نلتقى

تقول :

(عندى إنفلونزا)

- ٣ -

البنت

التي أحبتني كثيرا

وأحببتها أكثر

أمرتها ذات يوم

ان "تقلع جزمتها "

وتسير – إلى المدينة الجامعية –

عندما أعضبتنى كالعادة

قلت لها :

هكذا الشعراء

كالعادة

ـ ٤ ـ

البنت

التى زارتنى فى

الحلم

وصلبتنى على ثدييها

و كممتنى بأطراف الستيان

و سحبت منى

كل سوائلى

حتى أخر قطرة دم

شكلت بها بصمتها

على باب الغرفة

قالت لى:

أنت الأول

- كان ذاك فى أبريل -

(٥)

لا أعرف
لم يكون لها مذاق الملح
خاصة
بعدما نخلع ملابسنا
ونسد بها
فتحة الشباك
ونفـقأ عين المصباح الكهربائي
وتصبح أكثر
اتساعا
وأصبح أكثر
طولا

(٦)

لو أنك لاتشبهينها
تلك التى باعتنى
وقبضت الثمن ملء كفيها
لتشترى قميصا أحمر
بدلا من الذى اهترأ
على شعر صدرى
ستيانا
بدلا من الذى علقتنى
على أطرافة
أتابع سقوطى
ملابسى الداخلية التى فى المزاد
لتستر بها
أصابعها المحفورة على
أعضائى

الهيكل العظمى لكف يدى
الذى تساقط عنه اللحم
من حرارة يدها
ـ ـ وكنا على ما أذكرفى طوبة ـ ـ

من أجلك
لو أنك لا تشبهينها
وأيامى السوداء
لبعت عفش البيت
وما بقى لى من ملابس

الفرار

أقسمت ثلاثا أني سأعود
يوما ما
حاولت إجبارى على تحديده
وبأي مكان
سيكون الموعد
قلت :
عندما تطالعين –ذات صباح –
صفحة الوفيات
فى الظهيرة من نفس اليوم
انتظرينى على باب
عمر مكرم

جذور مفقودة

- ١ -

هكذا

يحكون لنا عن أجدادنا

القدماء

يحكون كيف كانوا

يفرحون

وكيف كانوا

يحزنون

وكذلك كيف كانوا

يموتون على أعتاب هذا

الوطن

فكنا نشم رائحة دمائهم

الساخنة

- ٢ -

عندما أذهب إلى هناك

وأشم رائحة عز قديم

وأرى عباءات أولياء

قدماء

وأنقـش اسمى كالراحلين

على جدران القلعة ـ قلعتنا -

أعتب على هذا الرجل الذي

تحدرت من بين فقـار ظهره

ـ ولم يكن يعلم حينها أنى سأعيش

غريبا دائما ـ ـ

لم أنبتنى هنا؟!

في هدوء نقتل أنفسنا

تلوتُ:

(وان ترضى عنك

...

ولا

...)

قلت :

فلم نذبح أنفسنا على

حواف الموائد

المستديرة إذن!

تنويعات على القهر
المتغلغل في

- ١ -

متى يجدون وقتا

لكي يسمحوا لي

أن أموت

وأتعفن

دون صخب

(٢)

أيتها الأيادي التي

ط

ا

ل

ت

ووصلت الي حلوقـنا

مهلا .....

لم يبقي غير لقمة

عفنة

في أجوافـنا

- ٣ -

أعتقد

أن الحرية

ـ ـ بعد اتفاقية الجات ـ ـ

سيزهد ثمنها

وتكون في متناولي

- ٤ -

الآن

بصوت يقطر منه

الدم

أقول :

لابد من أن أرحل عنك

يا وطن

ـ ـ فقط ـ ـ لأعود وقد دلقت

أنت

الماء الوسخ

يدها

هذا الرحم

الذي يحتويني

وأصرخ

عندما يستقبلنى

العالم

- ١ -

كان بيني وبينها

خطوات كثيرة

كانت تتلاشى

كلما سقطت ورقة من نتيجة

التقويم

ومن الشجرة الكثيفة

الباسقة بين البيتين

- ٢ -

عندما

يأتي المساء

دائما ما أغلق النافذة

ـ ـ الوحيدة بالغرفة ـ ـ ـ

وأتدثر جيدا

منتظرا إياها في الحلم

طال هذا كثيرا

وفى إحدى الصباحات

لم أعرف

لم كنت أتألم !

وعلى سريري قطرات

دم

وسوائل أكرهها كثيرا!!

- ٣ -

في المصعد

أنا

وهى

سقطت منى شفتاي

فأعادت ترميميها على

شفتيها

فأيقنت أنها لا تصلح

إلا

هكذا

- ٤ -

يبدو

أن موسم المعارك

قد بدأ

وغالبا ما سأكون في هذه

المرات

مهزوما

مهموما

مأزوما

فعلى إذن البحث عن رقعة

دافئة في مكان مـا

ربمـا أستعيد ما أفتقده

في كل مرة

- ٥ -

الآن

لم تعد لي ملهمة

هكذا قلتُ

بعد أن فارقتنى

ونسج العنكبوت خيوطه

في جدراني

الثمانية

الجريح

بعد انتهاء العرض
وإهداء الزهور إلى
الممثلين
رأيتها
سألتُ :
أين أنت ؟!
أجابت :
في قلبك
فتشت عنها
فلم أجد
غير الصديد

بين المساء والصباح

- ١ -

في المساء

التقينا

كان وجهها أبيض في ضوء

القمر

تماما كحافظة نقودي

في الصباح

نودى

أن سوق النخاسين قد

حان

حينها ـ ـ فقط ـ ـ ـ رأيتها بين

الجواري

- ٢ -

إنا في سوق النخاسين لا

سوق عكاظ

هكذا قلتُ بعد أن ذبحت

كلماتي

قربانا لها

فلم ترضى

وذابت بثمن بخس

دارهم معدودة

براءة

وقف الذئب يبكى

بكاء مريرا

فلما سأله الشيخ الهرم

الذي طمست عيناه

حزنا

عن سر بكائه

أجابه :

ما كنت لآكل جسدا

قد حرم على النار

أمصدقى أنتم ؟

....

فارتد الشيخ بصيرا

فساد الذئب قومه

الجنازة

في تلك الممرات مروا
صغارا
يلعبون بالنسمات
وجبات البرتقال
و...
و...
وفى تلك الممرات مروا
مزينين بأثواب
بيضاء
خائفين من أن يلوثها
تراب الأماكن
المغلقة

للاتصال بالكاتب :

هاتف : ٦٦٠٩٧٦٤

نقال : ٠١٢٤٦١٣٣٨٢

الإيميل : kasemsameh@yahoo.com